مجلة الشهاب • المجلد: 09، العدد: 03 (2023م) • ص ص 93- 118
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

جدلية الدّرس البلاغي والإعجاز القرآني
(من خلال جهود العلماء القدامى)

The dialectic of the rhetorical lesson and the Quranic miracle
(Through the efforts of ancient scholars)

د/ محمد القايدي*
الجامعة الزيتونية (تونس)
gaidi.beja@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/06/24 تاريخ الاستلام: 2023/10/04 تاريخ النشر: 2023/11/15

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: مثّل القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة التي تحدت الثقلين على الإتيان بمثله، ولمّا كانت هذه المعجزة من جنس ما برع فيه قوم النّبي محمد ﷺ الذين تفننوا في نظم الشعر- فقد اعتبر الإعجاز اللّغوي -البلاغي من أبرز أوجه الإعجاز فيه. ومثل نزول القرآن الكريم لحظة فارقة في التّاريخ العربي واللّغة العربية التي ارتقى بها إلى مصاف اللّغات العالمية بعد أن كانت لغة تائهة في الصحراء بين قبائل العرب.

وتأتي هذه الدراسة للبحث في العلاقة الجدلية بين القرآن الكريم وعلم البلاغة من ناحيتين:

ناحية أولى في مستوى تأثير الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم في نشأة الدرس البلاغي في التاريخ العربي. وناحية ثانية تهتم بدور الدّراسات البلاغية في فهم النص القرآني وأثرها في نشأة التفاسير البلاغية للقرآن الكريم. وقد اعتمد الباحث في دراسته لتحقيق هذه الأهداف على المنهج التاريخي والتحليلي من خلال سبر غور المصنفات والمؤلفات ذات الصلة بموضوع الدراسة. وفي الخاتمة توصلت الدراسة لمجموعة من النتائج من أبرزها: أهمية الدين الإسلامي والقرآن الكريم تاريخيا في تنشيط وإثراء اللّغة العربية وحمايتها من الانقراض فضلا عن جعلها لغة عالمية خالدة.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز القرآني؛ البلاغة؛ القرآن الكريم؛ الإعجاز اللّغوي.

Abstract: The Holy Qur'an represented the eternal miracle of Islam, which challenged the two races to come up with the same, and since this miracle was of the same kind as the people of the Prophet Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, excelled in - who excelled in poetry systems - the linguistic - rhetorical miracle was considered one of the most prominent aspects of its miracle. Like the revelation of the Noble Qur'an, a defining moment in the history of the Arab and the Arabic language, which elevated it to the ranks of the universal languages after it was a lost language in the desert among the Arab tribes.

* المؤلف المراسل.

This study comes to investigate the dialectical relationship between the Holy Qur'an and the science of rhetoric from two aspects: the first aspect is the level of the impact of the rhetorical miracle of the Holy Qur'an on the emergence of the rhetorical lesson in Arab history. On the other hand, it is concerned with the role of rhetorical studies in understanding the Quranic text and its impact on the emergence of rhetorical interpretations of the Holy Qur'an.
Keywords: Quranic miracles; rhetoric; The Holy Quran; Linguistic miracle.

1. مقدمة

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وهو معجزة الإسلام الخالدة، جاء للنّاس كافة وخاتما للكتب والرسالات السماوية وقد تكفل الله بحفظه من التحريف فحفظ في الصدور والسطور. وهو يمتاز بالفصاحة والبلاغة والإيجاز والإعجاز وهي التي تحدى بها الناس كافة. وللقرآن الكريم أثر عظيم في اللّغة العربية، فإليه ترجع نشأة معظم علوم اللّغة العربية من نحو وصرف ولغة ومعجم وبلاغة وأدب وغيرها. وهو الذي جعل من اللّغة العربية لغة علوم وحضارة فتسابقوا العرب والعجم لتعلمها وإجادتها وإتقانها. وقد للقرآن الكريم الأثر الواضح على اللّغة العربية فقد جعل منها ومن الدين سنما المرجعية العربية الإسلامية التي نسجت الهوية الحضارية لشعوب العالم العربي والإسلامي وحفظت لهم خصوصيتهم الثقافية وبنت لهم حضارة وارفة الظلال زاخرة المنتوج سطعت بنورها على العالم.

إنّ علاقة القرآن الكريم باللّغة العربية علاقة متينة ومُقدسة وهي علاقة في الاتجاهين ذات تأثير وتأثر، فالقرآن الكريم سما باللّغة العربية إلى العالمية والخلود وزادها تمددا وانتشارا بانتشار الدّين وتوغله في قلوب المؤمنين. واللّغة العربية كانت اللّسان الذي به قُرأ وفُسر القرآن الكريم فشرحت قوانينه وأحكامه وكشفت عجائبه وأسراره.

وتأتي هذه الدراسة للبحث في العلاقة الجدلية بين القرآن الكريم وعلم البلاغة من ناحيتين:

ناحية أولى: في مستوى تأثير الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم في نشأة الدرس البلاغي في التاريخ العربي. وناحية ثانية: تهتم بدور الدّراسات البلاغية في فهم النص القرآني وأثرها في نشأة التفاسير البلاغية للقرآن الكريم.

وقد اعتمد الباحث في دراسته لتحقيق هذه الأهداف على المنهج التاريخي والتحليلي من خلال سبر غور المصنفات والمؤلفات ذات الصلة بموضوع الدراسة. وفي الخاتمة توصلت الدراسة لمجموعة من النتائج من أبرزها: أهمية الدين الإسلامي والقرآن الكريم تاريخيا في تنشيط وإثراء اللّغة العربية وحمايتها من الانقراض فضلا عن جعلها لغة عالمية خالدة كما توصلت الدراسة إلى الدور الهام الذي اضطلعت البحوث البلاغية في فهم نصوص هذا الدين وإبراز مكامن إعجازه فضلا عن دورها في بيان جمالية اللسان العربي والحفاظ على الهوية اللغوية العربية وهي مهمة تزداد أهمية في العصر الحاضر، عصر العولمة والغزو الحضاري مما جعلنا نوصي المؤسسات الرسمية بضرورة إعادة بناء استراتيجياتها التعليمية

والثقافية على ضوء متطلبات العصر وتحدياته عبر توظيف امكانات القرآن الكريم واعجازه اللّغوي-البلاغي وإثراء الدّراسات البلاغية

2. مبحث تمهيدي مفاهيمي:

1.2. تعريف الإعجاز:

الإعجاز لغة: هو مصدر، وفعله رباعي هو أعجز، فنقول: أعجز يعجز إعجازاً واسم الفاعل معجز[1] ويدور معناها عند أهل اللّغة حول الضّعف، وعدم القُدرة على النّهوض بالأمر، وكذلك القعود عما يجب فعله. قال ابن منظور : (العجز: نقيض الحزم, والعجز: الضعف، والمعجزة بفتح الجيم وكسرها : مفعلة من العجز: عدم القدرة، وفي الحديث- كل شيء بقدر حتى العجز والكيس- وقيل أراد بالعجز: ترك ما يجب فعله بالتسويف)[2] وعليه فالإعجاز: هو جعل من يقع عليه أمر التّحدي بالشيء عاجزاً عن الإتيان به، ونسبته إلى العجز، وإثباته له، فالإعجاز بالنسبة للمعجز هو الفوت والسبق، يقال أعجزني فلان أي: فاتني، وبالنسبة للعاجز عدم القدرة على الطلب والإدراك (وقال الليث: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه).[3]

أمّا مصطلح: (إعجاز القرآن) فيكون المراد منه: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، وهو أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعول محذوف للدلالة على عموم من تحداهم القرآن، وهم الإنس والجن، وكذلك ما تعلق به الفعل محذوف للعلم به، وهو القرآن أو بعضه كما ثبت في كثير من آيات التّحدي. ويكتمل بيان المراد بهذا المصطلح[4] إذا عرفنا أن إعجاز القرآن مَن تحداهم عن الإتيان بمثله أو بشيء من مثله ليس أمراً مقصوداً لذاته، وليس هو الغاية في نفسه، ولكن المقصود هو اللازم الناتج عن هذا الإعجاز، وهو إظهار وإثبات أن هذا الكتاب حق، ووحي من عند الله تعالى، ومقتضى ذلك كله إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

أمّا الإعجاز في الاصطلاح فله عدة تعريفات: منها تعريف الجرجاني في كتابه(التعريفات) "أنْ يؤدي المعنى بطريق، هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق"[5] وقد عرَّفه مصطفى صادق الرافعي بقوله: "وإنما الإعجاز شيئان:

1. ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته.
2. ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه. فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس

[1] - أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، ص 149

[2] - ابن منظور، لسان العرب، مادة (عجز)، ج5، ص369.

[3] - المرجع السابق.

[4] - نقلا عن: محمد السيد راضي جبريل، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص13.

[5] - صلاح عبد الفتاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص 23-31.

له غير مدنه المحدودة بالغة ما بلغت"[1]

ويشترط في المعجزة: (مجموعةأساتذة)

1. أن تكون فعلاً من الأفعال المخالفة لما تعوَّد عليه الناس وألفوه.
2. أن يظهره الله تعالى على يد من يدّعي النبوة.
3. أن يكون الغرض من ظهور هذا الفعل الخارق هو تحدي المنكرين، سواء صرح النبي صاحب المعجزة بالتّحدي أو كان التّحدي مفهوماً من قرائن الأحوال.
4. أن تجيء المعجزة موافقة ومصدقة لدعوى النبوة، فإذا حدثت المعجزة وكذبت النبي في دعواه فلا يكون النبي صادقاً، كما لو نطق الجماد مثلاً بتكذيب صاحب المعجزة.
5. أن يعجز المنكرون عن الإتيان بمعجزة مماثلة لمعجزة النبي، أي يعجزون عن معارضته

2.2. تعريف القرآن:

التّعريف اللّغوي اختلف فيه كثيرا فقالوا هو اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله فهو غير مهموز وبه قرأ ابن كثير وهو مروي عن الشافعي. وقال قوم منه الأشعري: هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء: إذا ضممت أحدهما إلى الآخر وسمى به القرآن السور والآيات والحروف فيه. وقال الفراء: هو مشتق من القرائن لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً وهي قرائن وعلى القولين بلا همز أيضاً ونونه أصلية.

وقال الزجاج: هذا القول سهو والصحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف ونقل حركة الهمز إلى الساكن قبلها.[2] واختلف القائلون بأنه مهموز فقال قول منهم اللحياني: هو مصدر لقرأت كالرجحان والغفران سمى به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر.

وقال آخرون منهم الزجاج: هو وصف على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأت الماء في الحوض: أي جمعته. قال أبو عبيدة: وسمى بذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض. وقال الراغب: لا يقال لكل جمع قرآن ولا لجمع كل كلام قرآن. قال: وإنما سمي قرآناً لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة. وقيل لأنه جمع أنواع العلوم كلها. وحكى قطرب قولاً: إنّه سمى قرآناً لأن القارئ يظهره ويبينه من فيه أخذاً من قول العرب ما قرأت الناقة سلاقط:

أي ما رمت بولد: أي ما أسقطت ولداً: أي ما حملت قط والقرآن يلقطه القارئ من فيه ويلقيه فسمي قرآناً. قلت: والمختار عندي في هذه المسألة ما نص عليه الشافعي. أمّا تعريف القرآن في الشرع فهو كلام

[1] - مصطفى الصادق الرافعي، إعجاز القرآن، ص 139

[2] - إبراهيم الزجاج، معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ح1، ص420.

الله سبحانه وتعالى غير مخلوق، المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم باللّغة العربية المعجزة المؤيدة له، المتحدي به العرب المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر. قال تعالى: **يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ** / سورة الفتح الآية 15.

3.2.تعريف البلاغة لغة واصطلاحا:

البلاغة لغة، تنبئ عن الوصول والانتهاء، قال تعالى: **ولّما بلغ أشدَّه** / سورة القصص الآية 14 أي وصل. وهي اسم مشتق من فعل بلغ، بمعنى أدرك الغاية أو الوصول إلى النهاية. وقد سميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب سامعه فيفهمه. ويقال بلغ الرجل بلاغة، إذا صار بليغا، ورجل بليغ: حسن الكلام، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه. والبلاغة في الاصطلاح هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، بأن يكون على طبق مستلزمات المقام، وحالات المخاطب، فيكون لمقام الهزل كلام، ولمقام الجد كلام، ومع السوقة كلام. ومع كلام الملوك كلام. وهكذا. وورد في لسان العرب البلاغة الفصاحة والبلغ والبليغ من الرجال ورجل بليغ حسن الكلام فصيحه.[1] أي أنّ البلاغة تقع صفة للكلام والمتكلم، أمّا بلاغة الكلام فمطابقته لمقتضى الحال، وأمّا بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على التصرف في فنون الكلام وأغراضه المختلفة ببديع القول وساحر البيان[2] وقد عرفها القزويني بقوله: "فالبلاغة صفة راجعة إلى اللّفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب. [3]

3. العرب والبلاغة

1.3. الوحدة اللّغوية للعرب:

إن الحديث عن البلاغة العربية هو الحديث عن الحياة العربية العقلية والدينية. فلقد اعتنى العرب قبل الإسلام بلغتهم واحتفوا بها أيما احتفاء ورفعوا من قدر من ملك ناصيتها منهم، خصوصا وأنها وسيلة لرفع الشأن أو خفضه بالتفاخر والسجال، وحتى لما بدأ يغزوهم الاختلاط تحرزوا ببعث أولادهم إلى البادية... وكان الرسول، صلى الله عليه وسلم، وهو أفصح العرب، ممن بعث إلى البادية لتصفوا لغته ويتقوى عوده.

وكانت حياة العرب قبل الإسلام ذات صلة وثيقة وخاصة باللّغة والبلاغة والفصاحة، فحياتهم حياة أدبية، واللّغة سلاح في أيدي القوم ولذلك كانوا يحملون أفانين القول إلى أسواقهم "فيحمل على السوق التهامي، والحجازي، والنجدي، والعراقي، واليمامي، واليمني، والعماني كل ألفاظ حيه، ولغة قطره، فما تزال عكاظ بهذه اللهجات نخلا واصطفاء حتى يبقى الأنسب والأرشق، ويصرح المجفو الثقيل". [4]

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص420.

[2] - على فراجي، محاضرات وتطبيقات في علم البيان، ص26.

[3] - كريمة أوشيش حماس، الفصاحة واللحن في اللغة العربية، ص ص17-34.

[4] - سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص 242.

ويعتبر كثير من الباحثين والمؤرخين أنّ الوحدة اللغوية للعرب قد بدأت تتشكل قبل أكثر من قرن من ظهور الإسلام بسبب مؤتمرات عكاظ ومعارضة اللّسانية، وفيه تهيأت لقريش تلك الزعامة والتحكم في اللّغة والانتقاء فسلمت اللهجة القرشية من عيوب اللهجات[1]، كالكشكشة والكسكسة وغيرها.

وهذه الوحدة اللغوية هي التي نزل القرآن فرسخها وأرسى قواعدها، وذلك حين تنزلت آياته على ما عرف العرب، في نموذج اللّغة الموحدة، من سنن القول وأساليب الخطاب. ولو لم تكن لغة القرآن هي نفسها اللّغة الموحدة التي تعارفوا عليها قبل نزوله لما واجههم حين أنكروا بالتّحدي الصارخ الذي واجههم به، خاصة وأن هذا التّحدي كان للقبيلة التي نزل بلسانها وهي قريش.

لقد سمع العرب الآيات الأولى من القرآن الكريم، فدهشوا بما عرفوا فيها من أساليب البلاغة، وحاروا في تعليل دهشتهم وإعجابهم وهم أهل اللّغة وأرباب البلاغة، لقد سمعوا لغة من لغتهم وجملا من حروفهم، (المبارك، د.ت) ولكنهم لم يسمعوا قبلها مثيلا لا في نثر ناثر ولا في شعر شاعر، ولا في سجع كاهن.

فالقرآن ظهر عليهم بأسلوب متميز، لا هو بالنثر ولا يجري على طرائقه وأنواعه، ولا هو بالشعر ولا يركب أوزانه وخياله...وإنما هو أثر من الآثار الإلهية، فهو مبني على وفرة الإفادة وتعدد الدلالة، وجمله لها دلالتها الوضعية التركيبية التي يشاركها فيها الكلام العربي كله.[2]

فقريش كانت أول من خوطب بهذا القرآن المعجز، وهم ما هم عليه من صفاء القريحة، ونبل العقل وحصافة الرأي، والمنطق العذب، والقول الفصيح، ولقد شهد لهم القرآن الكريم بهذا الأمر في قوله تعالى:﴿ **وإن يقولوا تسمع لقولهم...** ﴾ سورة المنافقون / الآية 04، إذ أنّ لهجتهم كانت أرقى لهجات القبائل العربية بسبب ما تعرضت له من تهذيب وصقل في أسواقهم الأدبية التي كانوا يتصدرون فيها زعامة النقد الشعري، والكلمة الفاصلة، كما كانت مكة المكرمة محط رجال القوافل الضاربة في الأرض للاتجار.

ولما اجتمعت فيهم هذه الخصال خاطبهم القرآن في الغالب بأسلوب الإيجاز والإشارة والوحي، مراعاة لحق المقام، وأخذا بمقتضى الحال، وإنا لنرى ذلك جليا في السور المكية، كما نرى فيها تلميحات وإحالات على شؤون كانت معروفة لديهم، ذكروا بها وأعيدت على أذهانهم ليعترفوا بفضل الله عليهم فيها كما في سورة الفيل، وقريش.

2.3. الخصائص الأسلوبية للخطاب القرآني:

يمكن للمرء المتتبع والدارس للأسلوب القرآني أن يلحظ فيه ملحظين هما: التنويع اللفظي، والتنويع البياني.[3]

---

[1] - المرجع السابق، ص242

[2] - محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص110.

[3] - محمد السائح، إعجاز القرآن، ص 20.

أ. **فأما التنويع اللفظي:** فهو ما كان في الفواصل، وهي أواخر الآي، وقد يكون باتفاق السورة في كل الفواصل المقفاة كسورة القمر، وسورة الشمس، والأعلى، والقدر، والإخلاص، والناس، وقد يوجد في بعض الفواصل لزوم ما لا يلزم، وهو التزام أن يكون ما قبل القافية حرفا معينا وهو اتحاد ما قبل الحرف الذي تتواطأ عليه الفواصل نحو ﴿ **في سدر مخضود، وطلح منضود** ﴾ سورة الواقعة/ الآية 28، ونحو﴿ **إذا السماء انشقت، وأذنت لربها وحقت** ﴾ سورة الانشقاق/ الآية 01 ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق** ﴾ سورة العلق، الآية 01.

ب. **التنويع البياني:** وهو أن القرآن الكريم ينوع التعبير ويصوغ المعاني في قوالب مختلفة للإيذان بالتمكن في عقر البلاغة والجري على ما عرف عن العرب من تصريف المعنى الواحد على أساليب متعددة، وتقليبه على وجوه متنوعة من التعبير[1] من ذلك تنويعه التعبير عن سفينة نوح مرة بقوله:﴿ وحملناه **على ذات ألواح ودسر** ﴾ في سورة القمر .ومرة في سورة الحاقة بقوله: ﴿ إنا **لما طغى الماء حملناكم في الجارية** ﴾، فقد نوع التعبير مراعاة للفواصل.

وفي حال الناس عند قيام الساعة ﴿ وترى **الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** ﴾ [الحج: 3]،﴿ ويكون **الناس كالفراش المبثوث** ﴾ [القارعة: 4].

كما وقع هذا التنويع في القرآن على أبلغ وجه وأكمله، بطريق الإطناب تارة، والإيجاز أخرى. ثم إنك "إذا أمعنت النظر وأنعمته في وصف يوم القيامة والجنة والنار، والاستدلال على المعاد الأخروي بآيات الله في الأنفس والآفاق المسوق في سورة التنزيل بالإسهاب تارة وبالإشارة والإيجاز أخرى لرأيت من أنواع التفنن في البلاغة وغرائبه ما يدهش ويخرس[2]

فقد تميز القرآن الكريم بمجموعة من الخصائص الفنية جعلت من خطابه فريدا في نوعه، مختلفا عن غيره أسلوبا ونظما. وهذه الخصائص الفنية والسمات البلاغية واللطائف اللغوية والسلامة المنطقية والبراعة التعبيرية والدّقة التصويرية والروعة البيانية أسرت القلوب وهدت النفوس للإيمان بخالقها ولفتت انتباه الدّارسين. يقول الزرقاني: "أسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه."[3] وقد اتجه عديد الأدباء والبلغاء والدّارسين نحو الأسلوب القرآني لسبر أغواره وبيان خصائصه وسماته ومميزاته قصد البرهنة على إعجازه وقوة بيانه. فظهرت عديد المصنفات الهامة المختصة بهذا الجانب من مثل "إعجاز القرآن" للباقلاني و"مناهل العرفان" للزرقاني، وقد تميز الخطاب القرآني:

[1] - المرجع السابق.

[2] - إبراهيم الوافي، أثر القرآن الكريم في الدراسات البلاغية، https://www.arrabita.ma/blog -(2022/12/22)

[3] - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص214.

1) جمالية التعبير:

احتوى القرآن الكريم على أعذب الألفاظ العربية وأفصحها وأبلغها مما عرفته العرب وتداولته في خطابها "فلم يخرج عن سننهم في الكلام لا لفظا ولا معنى، لا إفرادا ولا تركيبا، ومع ذلك وإن كانت تلك الألفاظ معهودة عندهم واستعملوها بينهم وجاءت على ألسنة شعرائهم، إلّا أنّ القرآن الكريم قد فاق وعلا جميع كلامهم وتحداهم بأقصر سورة منه وهم أرباب الفصاحة والبيان."[1] وما ذلك إلّا لحسن سبكه وجودة رصفه وروعة تأليفه. يقول الرماني: "فأتى القرآن الكريم بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة وتفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام."[2] ويتوقف الزرقاني عند هذه الجمالية فيقول:" ومن عجيب أمر هذا الجمال اللّغوي وذاك النظام الصوتي أنّهما كما كانا دليل إعجاز من ناحية، كانا سورا لحفظ القرآن من ناحية أخرى، وذلك أنّ من شأن الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع ويثير الانتباه ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى هذا القرآن الكريم، وبذلك يبقى أبد الدّهر سائدا على ألسنة الخلق وفي آذانهم ويعرف بذاته ومزاياه بينهم فلا يجرؤ أحد على تغييره وتبديله مصداقا لقوله سبحانه: **إنّا نحن نزلنا الذكر و إنّا له لحافظون** .[3]

فنظام القرآن الصوتي في ائتلاف حركاته وسكناته، ومدّاته وغنّاته، واتصالاته وسكتاته، أمر يبهر العقول، ويسترعي الأسماع ويستهوي النفوس، بصورة تختلف كل الاختلاف عمّا يجده المتذوق لكلام النّاس من نسق وانسجام، فإنّه مهما كان كلام البشر سهلا جزلا عذبا، فإنّه لا يخلو من قصور في المعنى، أو ثقل في النطق، أو خلل في الترتيب"[4] وهذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي هو أول شيء أحسته الآذان العربية أيام نزول القرآن ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منثور الكلام أكان مرسلا أم مسجوعا حتى خيل إلى هؤلاء العرب أنّ القرآن شعر لأنّهم أدركوا في إيقاعه وترجيعه لذة و أخذتهم من لذّة هذا الإيقاع والترجيع هزة لم يعرفوا شيئا قريبا منها إلّا في الشعر ولكن سرعان ما عادوا على أنفسهم بالتخطئة فيما ظنوا." [5]

2) دقة التّصوير:

ومن جمالية التعبير تكون دقة التصوير، وهو من السّمات الواضحة التي يتميز بها الأسلوب القرآني وينفرد بها وذلك من خلال التعبير عن المعاني والأفكار والتصورات التي يريد إيصالها وإيضاحها للمخاطبين. فالأسلوب القرآني يجسد المعنى الذي يراد إيضاحه للمتلقي في قالب من الصور البيانية تجعلها كأنّها مجسمة منظورة بين ناظريه، فينظر القارئ في تفصيلات الصورة وكأنّها المشهد الذي يجري

[1] - زواري علي أحمد، أثر القرآن الكريم في نشأة الدرس البلاغي وتطوره، ص ص 143 – 174

[2] - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج4، ص18.

[3] - محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ص303.

[4] - إسماعيل محمد بكر، دراسات في علوم القرآن، ص331.

[5] - المرجع السابق، ص332.

بين عينيه حيّا متحركاً فتكون أقرب إلى الفهم، وأوضح في الذهن ممّا لو نقل المعنى مجردا من تلك الصّور الحيّة. "فالقرآن الكريم يبرز المعاني المعقولة في صور محسنة منتزعة من الواقع المشاهَد، مؤتلفة ائتلافا عجيبًا في قوالب كليّة متحركة، تشعر فيها بالأصوات والألوان والحركات، ممّا يجعلك تعيش مع الواقع الذّي تصوره لك هذه التشبيهات والاستعارات والكنايات المسبوكة سبكاً فريداً يأخذ بمجامع القلوب، ويملك على الإنسان حسّه ومشاعره فلا يحتاج إلى مزيد تصوير للحقائق التي يذكرها القرآن في ثنايا هذه اللّوحات البارعة البديعة في عناصرها وائتلافها وانسجامها مع معانيها ومراميها"[1] ولذلك نجد العلماء في كل حين يحلقون في سماء القرآن لاستنباط معانيه من خلال مبانيه ويبحثون في جدّ عن لطائفه البلاغية ودقائقه اللّغويّة ليقفوا من وراء ذلك كله على معانيه ومراميه بقدر طاقتهم البشرية. لكنهم لا يحصلون منه إلّا غرفة من بحر أو رشفة من غيث، فهو كتاب الله القويم، وحبله المتين ونوره المبين." [2] وبهاتين الخاصيتين يكتسب أسلوب القرآن الكريم الخاصية الموالية، والتي هي:

3) قوة التّأثير:

الأسلوب القرآني يميل إلى قوة التّأثير بجميع الوسائل الفنيّة.[3] فالخطاب القرآني بجمالية التعبير وجودة المعنى وحسن التركيب وبراعة التوظيف وقوة الإيقاع ودقة التصوير يستهدف كيان الإنسان فيؤثر فيه بلوحاته الفنية وصوره الحية المشرقة. فالصورة البيانية للأسلوب القرآني تبعث في النظم قوة التأثير بنفوذها إلى الذهن وتسربها منه حتى تصل تلك الصورة إلى أعماق القلب، لتلامس مشاعر الإنسان بمؤثراتها القوية الفاعلة، حتى تصل تلك الصورة إلى محاصرة الإنسان من كل مشاعره الجسدية والنّفسية والفكرية والوجدانية. وهكذا يجمع القرآن في أسلوبه التأثيري بين وسائل التّعبير ووسائل التّصوير "ولا تعجب من هذا القول، فإنّك لو تهيأت لتلاوته أو سماعه بقلب مفتوح مجرد عن الشّهوات والشبهات لسبق قلبك إلى تلاوته لسانك، وسبق إلى سماعه أذنك، ومن ذاق عرف."[4] فالخطاب القرآني بأسلوبه البارع أقنع العقل وأمتع العاطفة فكان كتاب هداية للنفوس التائقة لمعين الإيمان

3.3 أسباب الاعتناء باللّغة العربية:

مع انتشار الإسلام وتمدده شرقا وغربا وبروزه كدين عالمي وقوة حضارية استوعبت الثقافات الأخرى وانفتحت على ديانات ولغات وبيئات حضارية متنوعة مختلفة اللسان والعادات والاعتقادات، ظهرت عوامل جديدة أدت إلى إضعاف السليقة في التعامل مع النصوص الأدبية، فقد اختلط العرب الفصحاء بغيرهم، ووصل الإسلام إلى أقوام مختلفين، كما أثيرت شكوك و مطاعن في بلاغة القرآن وإعجازه مما

[1] - محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ص311.

[2] - المرجع السابق، ج2، ص333.

[3] - ياسوف أحمد، جماليات المفردة القرآنية، ص249.

[4] - إسماعيل محمد بكر، دراسات في علوم القرآن، ح2، ص339.

جعل الكثيرين لا يكتفون بهذا التفوق الذي تحسه نفوسهم إزاء البيان القرآني، فمضوا يحاولون استنباط ما يستطيعون استنباطه من وجوه البلاغة فيه، وأصبحت دراستهم تقوم على الدليل العقلي والحجة وتسويغ مواطن الجمال التعبيري.[1]

ويُعَدُّ القرآن الكريم هو العامل الرئيس الذي ساعد على الشروع في الدّراسات البلاغية بمختلف اتجاهاتها، وكان هذا العامل أهمَّ البواعث في إثارة الهمم للبحث الجادِّ عن ترتيب وجوه الكلام، والتمييز بين الأساليب ومعرفة الجوانب الجمالية في نسيج تركيب الجملة العربية. ويُجْمع العلماء على أنه بفضل الكتاب العزيز نشأت علوم البلاغة التي أمدَّها النص القرآني بفيض من الأمثلة البديعة في محاسن الكلام وبديع النظم.[2]

ولقد أثار القرآن الكريم منذ اللحظات الأولى لنزوله حركة فكرية عند مُتَلَقِّيه، ممَّا جعلهم يلتفتون إلى ما جاء به في أساليب التعبير والبيان، ويُنَقِّبون عن كنوزها، ويوازنون بين صنوف الكلام المختلفة يقول صمود: غدا القرآن القطبَ الذي تدور حوله مختلف المجهودات الفكرية والعقائدية للمسلمين.[3]

ولو تساءلنا عن أسباب نشأة علوم البلاغة التي هي المعاني والبيان والبديع، لَتَبَيَّن لنا أنها نشأت للدفاع عن القرآن، والردِّ على الذين أنكروا إعجازه من أمثال إبراهيم النظَّام المعتزلي الذي كان يعتقد أن القرآن ليس في درجة من البلاغة والفصاحة تمنع من الإتيان بمثله، فبلاغته لا تزيد على بلاغة سائر الناس، وهو من جنس كلام البشر. ومثل هذا الرأي دفع علماء المسلمين إلى الخوض في مسائل البلاغة التي تدرس خصائص النص القرآني، ممَّا سيكون له أثر كبير في إغناء المباحث البلاغية، فقد أثمرت أهمَّ نظرية في تراثنا البلاغي وهي نظرية النظم[4]، ومن هنا كان الردُّ على النظَّام باعثاً مهماً ومنطلقاً لعلماء البلاغة أن يُثْبِتوا تَفَوُّق الأسلوب القرآني على الأساليب البشرية وتميُّزه بصنوف البيان البديع، وهذا الدافع جعلهم يَبُثُّون بذور علم البلاغة وفروعها المختلفة، مما كان أساساً لاكتمال صورتها في مصنفات القرون التالية.

ثم جاءت دراسات جادَّة شرعت في بناء منظومة واسعة، غرضها شرح أوجه إعجاز القرآن ودراسة أسلوبه. وهذه الدّراسات زَوَّدت مسيرة علم البلاغة بفيض من الأصول والأمثلة التي اعتمدَتْها مصنفات علوم البلاغة فيما بعد القرون الأولى[5] وكان اختلاف وجهات النظر في مواطن إعجازه مادةً ثرَّة، رفدت هذه العلوم بروافد تأصيلية في البحث البلاغي والنقد الأدبي[6]، وبذلك يتبيَّن لنا أن أهمَّ جانب ساعد على ظهور

[1] - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص36

[2] - جميل علي، أثر القرآن على اللغة العربية ص 135

[3] - صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، مرجع سابق، ص29.

[4] - المرجع السابق، ص 38.

[5] - سلام محمد زغلول، أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص208.

[6] - مازن مبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص47.

التفكير البلاغي هو الجانب المتصل بإعجاز القرآن، كما يتبيَّن لنا أن اتساع الدّراسات البلاغية وازدهارها إنما كان لخدمة القرآن الكريم .وتفرع على النظر في أسلوب القرآن واتخاذه المقياسَ البلاغي الأمثل النظرُ في الأساليب الأدبية نثرها وشعرها، والموازنة فيما بينها.[1]

ويذكر المؤرخون لعلم البلاغة أن أقدم كتاب اعتنى بتحديد معاني القرآن، وكان النواة الأولى للبحوث البلاغية كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 207هـ) الذي حاول أن يدرس أسلوب القرآن ويقارنه بالأدب العربي شعره ونثره.

ولم تقتصر علاقة القرآن بمنهج البحث البلاغي على الدفاع عنه والتماس وجه إعجازه، بل إن ثمة علاقةً أخرى، وهي الضرورة التي يُحِسُّها المسلم من جهة فَهْم معانيه[2]، ولا يتمُّ هذا الفهم إلا بالإحاطة بأساليبه، وما يمكن أن ينطويَ وراء تعبيراته من المعاني والمقاصد، على قَدْر طاقة المشتغلين فيه. ومن هنا جال علماء البيان بضروب الأسلوب القرآني، وكان هذا من الحوافز التي وجَّهَتْ أنظارهم إلى الفنون المختلفة للتعبير الفني في الشعر والنثر، فوضعوا مصنفات كثير في هذه الحقول[3] (زغلول، د.ت) وكانت هذه المصنفات صدىً لبيان خصائص النظم القرآني.

وكان من جملة أغراض البحث البلاغي عندهم إثبات أنَّ ما عُرِف في أدب العرب من فنون جمالية عالية في التعبير، وقع مثله في القرآن على صورة أجملَ وآنَق، وقد فتحت المصنفات التي تركوها باب البحث البلاغي على مِصْراعَيْه، ووصلَتْ بالذوق البياني إلى كثير من الأصول التي تأسَّسَتْ عليها علوم المعاني والبيان والبديع يقول بدوي طبانة"من النادر أن نجد أثراً من الآثار التي عرضت للبيان العربي خلا من الإشارة إلى القرآن ونظمه، وهذا يؤكِّد بُعْدَ أثر الدّراسات القرآنية في نُمُوِّ الدّراسات البيانية وتنوُّعها، وعدم انقطاع هذا التأثر في سائر العصور"[4]. وعندما ازدهر التصنيف في علوم البلاغة كانت خدمة القرآن الكريم ماثلةً أمام العلماء الذين كانوا يَعُدُّون جهودهم مُنْصَبَّةً في هذا المجال، حتى إننا لا نكاد نجد كتاباً في البلاغة مقصوراً على مباحثها النظرية، وبعيداً عن خدمة القرآن.[5]

وإجمالا يمكننا القول أنّ عوامل نشأة الدرس اللّغوي والبلاغي عند العرب كانت عبر:

- جهود العلماء في حماية القرآن الكريم من اللّحن ومن خلال ذلك تمّ حماية اللسان العربي الذي نزل به القرآن في زمن ظهرت فيه ظاهرت اللّحن وانتشرت وتمددت وأصبحت تشكل تحدي حقيقي للغة العرب.

---

[1] - المرجع السابق، ص45.

[2] - طبانة بدوي، البيان العربي، ص 25.

[3] - سلام محمد زغلول، أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص 208

[4] - طبانة بدوي، البيان العربي، ص 44.

[5] - سلام محمد زغلول، أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص 225.

- جهود المسلمين في البحث في دلائل الإعجاز القرآني وبيان أسراره والرد على شبهات المناوئين والمشككين في معجزة الإسلام.
- جهود العلماء وعامة المسلمين في فهم القرآن وتفسيره ودرسه

4. أثر القرآن الكريم في اللّغة العربية

1.4 أثر القرآن الكريم في اللّغة العربية

أ. القرآن الكريم سر خلود اللّغة العربية وحفظها من الاندثار:

كانت اللّغة العربية قبل نزول القرآن الكريم لغة قبلية ضعيفة تائهة في الصحراء العربية، حيث بساطة العيش وضيقه، تسود الأمية وتغيب العلوم وتختفي مظاهر الحضارة. تنهشها الخطوب من كل الجهات. فلم تكن لغة قوية ذات منعة، فهي ليست لغة علوم ولا حضارة، كان يمكن أن تندثر باندثار العرب المتناحرين. إلّا أنّه بفضل القرآن الكريم الذّي تكفل الله بحفظه، حُفظت لغة العرب التّي كانت لسان القرآن الكريم وحولها "من أمة تائهة إلى أمة عزيزة قوية بتمسكها بهذا الكتاب الذي صقل نفوسهم، وهذّب طباعهم، وطهّر عقولهم من رجس الوثنية وعطن الجاهلية، وألف بين قلوبهم وجمعهم على كلمة واحدة توحدت فيها غاياتهم، وبذلوا من أجلها مهجهم وأرواحهم، ورفع من بينهم الظلم والاستعباد، ونزع من صدورهم الإحن والضغائن والأحقاد، فقد كان القرآن الكريم ولا يزال كالطود الشامخ يتحدى كل المؤثرات والمؤامرات التي حيكت وتحاك ضد لغة القرآن،[1] يدافع عنها، ويذود عن حياضها، يقرع أسماعهم صباح مساء، وليل نهار بقوله تعالى: **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين** سورة البقرة، الآية 24/23 وقوله تعالى: **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** سورة الإسراء، الآية 88.

ب. تقوية اللّغة والرقي بها نحو الكمال:

منح القرآن الكريم اللّغة العربية قوة ورقياً ما كانت لتصل إليه لولا القرآن الكريم، بما وهبها الله من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية الرفيعة، فأصبحت بذلك محط جميع الأنظار، والاقتباس منها مناط العز والفخار، وغدت اللّغة العربية تتألق وتتباهى على غيرها من اللّغات بما حازت عليه من محاسن الجمال وأنواع الكمال، وفي هذا يقول الرافعي: "نزل القرآن الكريم بهذه اللّغة على نمط يعجز قليله وكثيره معاً، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه إذ النور جملة واحدة، وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض، وإنما كان ذلك، لأنه صفى اللّغة من أكدارها، وأجراها في

[1] - حسن الباقوري، أثر القرآن في اللغة العربية، ص67.

ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهراً لا يقضى العجب منه لأنه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود لأنها هي لغتهم التي يعرفونها ولكن في جزالة لم يمضغ لها شيح ولا قيصوم"[1]

ت. توحيد لهجات اللّغة العربية وتخليصها من اللهجات القبلية الكثيرة:

من المعلوم أن لجهات اللّغة العربية كانت مختلفة، تحتوي على الفصيح والأفصح، والرديء والمستكره، وكانت القبائل العربية معتدة بلهجتها حتى إن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف من أجل التخفيف على العرب في قراءته وتلاوته، ولا شكّ أن لغات العرب متفاوتة في الفصاحة والبلاغة، ولذلك نجد عثمان رضي الله عنه قد راعى هذا الجانب في جمعه للقرآن، وقال للجنة الرباعية: "إذا اختلفتم أنتم فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلغتهم" وما ذلك إلا لأن لغة قريش أسهل اللغات وأعذبها وأوضحها وأبينها، وكانت تحتوي على أكثر لغات العرب، ونظراً لكونهم مركز البلاد وإليهم يأوي العباد من أجل الحج أو التجارة، فقد كانوا على علم بمعظم لغات العرب بسبب الاحتكاك والتعامل مع الآخرين، ولكن لغتهم أسهل اللغات كما ذكرت. ينقل السيوطي[2] عن الواسطي قوله: "لأن كلام قريش سهل واضح، وكلام العرب وحشي غريب" ولذلك حاول العرب الاقتراب منها، وودوا لو أن ألسنتهم انطبعت عليها حين رأوا هذا القرآن يزيدها حسناً، ويفيض عليها عذوبة، فأقبلوا على القرآن الكريم يستمعون إليه، فقالوا على الرغم من أنفهم: "إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وأسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه"

ث. تحويل اللّغة العربية إلى لغة عالمية:

العرب قبل نزول القرآن الكريم، لم يكن لهم شأن ويذكر أو موقع بين الأمم آنذاك حتى تقبل الأمم على تعلم لغتهم، والتعاون معهم فليست لغتهم لغة علم ومعرفة، وكذلك ليس لديهم حضارة أو صناعة، كل ذلك جعل اللّغة تقبع في جزيرتها فلا تبرح إلا لتعود إليها. وقد ظلوا كذلك، حتى جاء القرآن الكريم، يحمل أسمى ما تعرف البشرية من مبادئ وتعاليم، فدعا العرب إلى دعوة الآخرين إلى دينهم، ومما لا شك فيه أن أول ما يجب على من يدخل في الإسلام هو تعلم اللّغة العربية لإقامة دينه، وصحة عبادته، فأقبل الناس أفواجاً على تعلم اللّغة العربية لغة القرآن الكريم، ولولا القرآن الكريم لم يكن للغة العربية هذا الانتشار وهذه الشهرة. يقول نور الدين عتر: "وقد اتسع انتشار اللّغة العربية جداً حتى تغلغلت في الهند والصين وأفغانستان، وحسبنا شاهداً على ذلك ما نعلمه من مشاهير العلماء من تلك البلاد مثل البخاري ومسلم،

[1] - مصطفى الصادق الرافعي، إعجاز القرآن، ج2، ص 74.

[2] - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص214.

والنسائي، وابن ماجه القزويني، وغيرهم وغيرهم"[1]

ح. تحويل اللّغة العربية إلى لغة تعليمية ذات قواعد منضبطة:

كان العرب قبل نزول القرآن يجرون في كلامهم وأشعارهم وخطبهم على السليقة، فليس للغتهم تلك القواعد المعروفة الآن، وذلك لعدم الحاجة إليها، ولا أدل على ذلك من أن التاريخ يحدثنا عن كثير من العلماء الذين صرحوا أن لغتهم استقامت لمّا ذُهب بهم إلى الصحراء لتعلم اللّغة العربية النقية التي لم تشبها شائبة، ومن هؤلاء الإمام الشافعي، وأن الوليد بن عبد الملك كان كثير اللحن، لأنه لم يغترف لغته من الينبوع العربي الصحراوي الصافي.

ولما اتسعت الفتوح، وانتشر الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، احتك العجم بالعرب فأفسدوا عليهم لغتهم، مما اضطر حذيفة بن اليمان الذي كان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، أن يرجع إلى المدينة المنورة ويقول لعثمان رضي الله عنه: "يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها اختلاف اليهود والنصارى...." فأمر عثمان(يجمع القرآن، وكان قصده أن يجمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي (وإلغاء ما ليس بقرآن خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد, وهذا ما حصل، فقد ضعفت اللّغة مع مرور الأيام وفشا اللّحن في قراءة القرآن، الأمر الذي أفزع أبا الأسود الدؤلي وجعله يستجيب لوضع قواعد النحو، التي هي أساس ضبط حركات الحروف والكلمات، ومن ثم العمل على ضبط المصاحف بالشكل حفاظاً على قراءة القرآن من اللحن والخطأ. وليس هذا فحسب، بل يرجع الفضل للقرآن الكريم في أنه حفظ للعرب رسم كلماتهم، وكيفية إملائهم، على حين أن اللغات الأخرى قد اختلف إملاء كلامها، وعدد حروفها. "والسر في ذلك أن رسم القرآن جعل أصلاً للكتابة العربية، ثم تطورت قواعد إملاء العربية بما يتناسب مع مزيد الضبط وتقريب رسم الكلمة من نطقها، فكان للقرآن الكريم الفضل في حفظ رسم الكلمة عن الانفصام عن رسم القدماء" [2]

خ. تهذيب ألفاظ اللّغة العربية، ونشوء علم البلاغة:

العرب كانت أمّة أكثرها ضارب في الصحراء، لم يتحضر منها إلا القليل، فلا جرم كان في لغتهم الخشن الجاف، والحوشي الغريب، وقد أسلفنا عن الواسطي أن لغة قريش كانت سهلة لمكان حياة التحضر التي كانت تحياها في ذلك. ولعل من يقرأ الأدب الجاهلي ويتدبره، يزداد إيماناً بما للحضارة من أثر ألفاظ اللّغة، فإنه سيرى في أدب أهل الوبر كثيراً من مثل "جحيش" و"مستشزرات" "وجحلنجع"، وما إلى ذلك مما ينفر منه الطبع، وينبو عنه السمع، على حين أنه يكاد لا يصادفه من ذلك شيء في أدب القرشيين.

والقرآن الكريم –فضلاً عن أنه نقل العرب من جفاء البداوة وخشونتها، إلى لين الحضارة ونعومتها، فنزلوا عن حوشيتهم، وتوخوا العذوبة في ألفاظهم، -قد تخير لألفاظه أجمل ما تخف به نطقاً في الألسن، وقرعاً

[1] - جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة العربية، ص251.

[2] - عبد الحميد الفراهي الهندي، دلائل النظام، ص43.

للأسماع، حتى كأنها الماء سلاسة، والنسيم رقة، والعسل حلاوة، وهو بعد بالمكان الأسمى الذي أدهشهم وحير ألبابهم، وأفهمهم أن البلاغة شيء وراء التنقيب والتقعير، وتخير ما يكد الألسن ويرهقها من الألفاظ، فعكفوا عليه يتدبرونه، وجروا إليه يستمعونه ذلك أن القرآن الكريم قد انتهج في تعابيره أسلوباً له حلاوة، وعليه طلاوة، تنتفي فيه الكلمة انتقاء، حتى كانت مفردات القرآن الكريم من اللّغة العربية بمثابة اللباب وغيرها كالقشور، مما جعل ابن خالويه يقول: "أجمع الناس أن اللّغة إذا وردت في القرآن فهي أصح مما في غيره"[1]، ولا أدل على ذلك من المقارنة بين الشعر الجاهلي والإسلامي، أو الأدب الجاهلي والإسلامي، لتجد البون شاسعاً، والفارق كبيراً، فأقبلوا إليه يزفون، ومن بحره ورياضه يستقون وينهلون، ومن ألفاظ ومعانيه

د. **تنمية ملكة النقد الأدبي**: وذلك أن العرب كانت لهم أسواقهم المشهورة، ومعلقاتهم المنظومة، ومبارياتهم المعروفة، فلما نزل القرآن الكريم، ولامس شغاف قلوبهم، ورقت له أحاسيسهم ومشاعرهم، فتغيرت أحكامهم وقوانينهم، فنقلهم

من الفصيح إلى الأفصح، ومن الجيد إلى الأجود، ذلك هو القرآن بإعجازه، فإذا كان القرآن الكريم بهذه المنزلة وبهذه المكانة، وبهذا التأثير على العرب ولغتهم فنقلهم من البداوة إلى الحضارة، ومن الذل والهوان إلى الرفعة والسؤدد، ومن التقوقع والتشرذم إلى العالمية والانتشار، ومن الحوشي والغريب إلى السهولة واليسر، ومن العامية إلى الفصحى.

5. جهود العلماء القدامى في التأسيس للدرس البلاغي

1.5 السيرورة التاريخية للدرس البلاغي:

لم يظهر مصطلح الإعجاز في العصر الجاهلي، رغم تميز العرب في فصاحة اللسان، وحسن البيان، فكانوا يتكلمون بالسليقة ولا يلتفتون إلى الصياغات الفنية للكلام من نظم أو الإعجاز ولا كيفية ترتيب أجزاء الكلام ترتيبا فنيا، ولا عن تفسير التأليف تفسيرا علميا، فقالوا مثلا أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب وهذه كما نرى كلها أحكام لم تعلل بخصائص أسلوبية تجعل هذا النقد قابلا للنقاش والبحث عن مواطن الجودة والاستحسان.[2]

وعندما جاء الإسلام وتحداهم القرآن الكريم بإعجازه البليغِ ونظمه البديع، وتأليفه العجيب، فإنّ العرب لم يفصلوا القول في النظم، ولم يشرحوا كيف يكون، وما أسراره؟ "لقد كانوا يعرفون من القواعد البلاغية والأسس النقدية، التي يقوم عليها تأليف الكلام الجميل، وتمييز جيده من رديئه، ما نعرف وفوق ما نعرف، ولم يحتاجوا إلى تدوينها؛ لأنها كانت مركوزة في طبائعهم.[3]

---

[1] - بروكلمان كارل، تاريخ الأدب العربي، ص245.

[2] - عمر بوقرة، إعجاز القرآن البياني وأثره في الدرس البلاغي، ص54.

[3] - عبد العاطي عبد العزيز عرفة، من بلاغة النظم القرآني دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ص9.

والدّراسات التاريخية لم تذكر أمرا من هذا إذ لو حصل شيء من ذلك لوصل إلينا؛ لأن القرآن تحداهم وأثار حميتهم، وكان للبيان العربي مكانة عالية في أنفسهم، وكان أعظم وأجل من أن يخونوه، ولو أن نفوسهم حدثتهم بشيء يقولونه في القرآن ونظمه لانبرى لهم النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم، وهم من فصحاء العرب، ولأُثر عنهم كلام في قواعد النظم والبلاغة، ولكن لم يحدث شيء من ذلك[1].

ومع تمدد الدولة الإسلامية وانتشار الإسلام عبر الفتوحات اختلط الأعاجم بالعرب، وتوسعت مستعمرات اللّغة العربية، وكانت تلك الفتوحات اللّغوية على حساب النقاء اللغوي؛ ففشا اللحن، وضعفت الملكات، ومست الحاجة للمحافظة على سلامة الذوق البلاغي، كمفتاح لفهم وتذوق القرآن خاصة، و كلام العرب عامة؛ ففزع علماء الإسلام إلى كتاب الله يتدارسونه، ففسروا آياته، وبحثوا أسلوبه وبيانه، وبينوا محكمه من متشابهه، ومقيده من مطلقه، ومفصَّ هـ، وحلاله من حرامه له من مجمله، وخاصه من عام؛ يردون عنه افتراء المفترين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين بدأوا يجاهرون بمطاعنهم في كتاب الله، ويشككون في إعجازه، فكثرت المطاعن في القرآن، وأوشكت الشبهات أن تأخذ طريقها إلى النفوس الضعيفة، خاصة إذا كان مصدرها من ينتحلون الإسلام من الفرق الكلامية؛ فشرع علماء الإسلام أقلامهم ونشروا صحفهم لتأليف الكتب والرد على شبهاتهم، وقد نال نظم القرآن الحظ الأوفر بعدّه أحد أبرز وجوه الإعجاز القرآني.[2]

لقد أثر القرآن بنظمه العجيب، وتركيبه الغريب، في صقل الذوق البلاغي بذلك التّحدي الصارخ، فكان الإعجاز القرآني هو السبب المباشر في البحث عن النظم القرآني، بعده متحديا لما اعتاده العرب في أساليب كلامهم بشتى أصنافه من شعر ونثر. ولم تفرد قضية الإعجاز بالبحث والدراسة في أول الأمر، بل عولجت مع غيرها من المسائل التي نشط فيها الكلام، خاصة تلك المتعلقة بالنبوة و المعجزة فقد شارك في تشييد صرحه وبنائه طوائف مختلفة من العلماء منهم المتكلمون أمثال بشر ابن المعتمر(ت210هـ)، والجاحظ (ت255هـ)، والواسطي (ت306هـ)، والرماني (ت387هـ)، والخطّابي (ت388هـ)، والباقلاّني (ت403هـ)، والقاضي عبد الجبار (ت410هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، وشارك فيه من اللغويين؛ ابن قتيبة (276هـ) صاحب كتاب تأويل مشكل القرآن"، وقد صنفه للرد على الملاحدة الذين طعنوا في القرآن، وزعموا أن في نظمه فسادا، والمبرد(285هـ صاحب كتاب الكامل"، وقد تحدث فيه عن الاستعارة، والالتفات، والإيجاز، والإطناب، والتشبيه وغيرها وألف ثعلب(291هـ) كتيبا سماه "قواعد الشعر" ذكر فيه بعض وجوه البلاغة، كالمبالغة، وسماها الإفراط والإغراق"، والكناية وسماها لطافة المعنى"، والاستعارة، والمطابقة، والطباق وغيرها وشارك بعض المتفلسفة مثل قدامة بن جعفر (337هـ)، صاحب كتاب نقد الشعر"، وعدد من النقاد المشهورين أمثال: ابن طباطبا (322هـ) في كتابه "عيار

[1] -المرجع السابق.

[2] - أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص8.

الشعر"، والآمدي (ت371هـ) في كتابه "الموازنة بين أبي تمام والبحتري"، وعلي بن عبد العزيز الجرجاني (ت392هـ) في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه"، وعدد من المتأدبين أمثال: أبي هلال العسكري (ت395هـ) في كتابه "الصناعتين"، وابن رشيق القيرواني(ت463هـ) في كتابه "العمدة في صناعة الشعر ونقده"، وابن سنان الخفاجي (ت466هـ) في كتابه "سر الفصاحة" وحتى النحاة كانوا يبدون في تضاعيف شروحهم للشواهد القرآنية والشعرية بعض الملاحظات البلاغية، التي أسهمت في التأسيس لعلم البلاغة، ولكن مع نهاية القرن الثالث أخذ اللّغويون يتوسعون في المباحث اللغوية الخالصة منحازين عن مباحث البيان والبلاغة، كأنهم رأوا أنها ميدان آخر غير ميدانهم أما المتكلمون فقد ظل نشاطهم في هذه المباحث متصلا، وكان من أهم ما وصلهم بها أنهم عنوا بتعليل إعجاز القرآن وتفسيره بلاغيا " قد أعانهم على ذلك انفتاحهم على العلوم الأجنبية، خاصة البلاغة اليونانية الوافدة عبر الترجمة.

يعتبر كثيرون أنّ كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى(ت208هـ) من المحاولات الأولى التي حاولت مد الجسور بين النص القرآني والعربية عموما، والبلاغة خصوصا، عبر النص الشعري، وتقاليد القول العربي، ذلك الجسر الذي سمي المجاز إنها الغربلة البكر التي ستتولد عنها فيما بعد جملة من المقولات البلاغية، التي ستمثل لاحقا موضوع الوعي البلاغي"[1] وهي محاولة رائدة لشرح النظم العربي، من خلال النظر في أحوال التراكيب من تقديم وتأخير، وحذف وذكر، وغيرها من الأساليب، ويذكر المؤرخون أن سبب تأليف هذا الكتاب هو سؤال إبراهيم بن إسماعيل الكاتب، أحد كتّاب ابو الفضل بن الربيع وزير الرشيد لأبي عبيدة عن معنى آية من القرآن؛ فأجاب عن السؤال، واعتزم أن يؤلف مجاز القرآن."[2] وكان السؤال عن سر بلاغي يتعلق بقوله تعالى: ﴿ **طلعها كأنه رءوس الشياطين** ﴾ ولم يكن يقصد أبو عبيدة بكلمة المجاز في (مجاز القرآن) ما هو قسيم الحقيقة عند علماء البلاغة فيما بعد وإنّما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عنها؛ أي المعبر والطريق والممر للوصول إلى فهم معاني القرآن، يستوي عنده في ذلك أن يكون الطريق هو الكلمات اللّغوية التي تحتاج إلى تفسير بالجملة الشارحة، أو بالمرادف المفسر من الكلمات.

وفي القرن الثالث الهجري ظهرت مؤلفات في الإعجاز تحمل في الغالب عنوان نظم القرآن، أولها نظم القرآن للجاحظ (ت 255 هـ)، الذي اعتبر أن القرآن معجز بنظمه وتأليفه رغم أنّه قال بالصرفة فهو يرى أن القرآن خالف جميع الكلام الموزون والمنثور. يقول الجاحظ:"ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن الكريم لتعرف بها فضل ما بين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد، والفضول، والاستعارات"[3] وعلى نفس النّهج ألف أبو بكر عبد الله ابن أبي داود السجستاني (ت316هـ) كتابا سماه "نظم القرآن"، وكذلك فعل أبوزيد البلخي (ت322هـ) وابن الإخشيدي المعتزلي (ت326هـ).

[1] - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص92.

[2] - أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، ص16.

[3] - صالح بلعيد، نظرية النظم، ص 123.

وفي أواخر القرن الثالث ظهر أول كتاب بعنوان «إعجاز القرآن ونظمه وتأليفه» لأبي عبد الله بن يزيد الواسطي المعتزلي (ت 306هـ)، وتذكر بعض كتب التراجم أن عبد القاهر الجرجاني قد شرحه مرتين، الشرح الأول سماه "المعتضد الكبير"، والثاني سماه "المعتضد الصغير" إلا أنه لم يصل إلينا، وهو أول كتاب وضع لشرح الإعجاز، وبسط القول فيه على طريقتهم في التأليف ولا نظن الواسطي بنى إلا على ما ابتدأه الجاحظ، كما بنى عبد القاهر دلائل الإعجاز على الواسطي"[1] وهو من الكتب التي لا نعلم عنها غير أسمائها المجردة، ولم يبق من الكتب المؤلفة في القرن الرابع الهجري حول الإعجاز القرآني غير ثلاثة كتب أحدها للرماني، وثانيها للخطابي، وثالثها للباقلاني.[2]

ويمثل كتاب "النكت في إعجاز القرآن" للرماني(ت387هـ) من أهم المصنفات في مجاله فبعد أن استهل رسالته برد الإعجاز إلى جهاته السبع وهي: ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة، والتّحدي للكافة والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياس القرآن بكل معجزة"[3] والبلاغة عنده عشرة أقسام وهي: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان".[4]

ومن أبرز علماء أهل السنة أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي والمتوفى سنة (388هـ) الذي ألّف"بيان إعجاز القرآن " وقد "مثلت أفكاره اللغوية شعلة مرحلة عظيمة في قضية النظم القرآني والنظم بصفة عامة"[5] فبعد أن ضعّف وجه الإعجاز بالصرفة ذكر الإعجاز الغيبي، وأضاف نوعا آخر من الإعجاز لا يعرفه إلا آحاد الناس وشواذهم / على حد قوله / وهو الإعجاز التأثيري الإقناعي يقول عنه" وفي إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه في القلوب، وتأثيره في النفوس، إذا قرع السمع خلص إلى القلب"[6]، ولا نبالغ إذا قلنا أن الخطابي هو أول مؤلف يتعرض لشرح فكرة الإعجاز بالنظم إيضاحا للإعجاز من جهة البلاغة، الذي قال به جمهور العلماء من قبله

فأركان النظم عنده: لفظ حامل، ومعنى ٍعليه محمول، ورباط لهما وناظم، وكل كلام يقوم على هذه الأركان الثلاثة والقرآن الكريم جاء بأصح المعاني، في أفصح الألفاظ، في أحسن النّظوم ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق، أمر تعجز عنه قوى البشر فانقطع الخلق دونه".[7]

[1] - الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 106.

[2] - أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص10.

[3] - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص103.

[4] - الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والنقد، ص 76/75.

[5] - أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص13.

[6] - الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل، مرجع سابق، ص 70.

[7] - المرجع السابق.

لأنهم عاجزون عن الإحاطة بجميع الألفاظ، وجميع المعاني، وجميع النّظوم، حتى لكأنها مجتمعة كلها أمام أعينهم، حاضرة في أذهانهم، لحظة نظم الكلام؛ فيختارون منها أحسن لفظ لأحسن معنى في أحسن نظم.

ويعتبر كتاب "إعجاز القرآن" للباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني الأشعري ت403 ه) من أوسع الكتب التي ألفت لبيان إعجاز القرآن في القرن الرابع الهجري، وقد استهل كتابه بالرد على المخالفين بل؛وعلى كل قول يردّ الإعجاز أو يحتمل رده، ساعده على ذلك براعته في الجدل والحجاج؛

ووجوه الإعجاز عنده تنحصر في ثلاثة تكررت في كتبه وهي: تضمنه لأخبار الغيوب وذلك مما لا يقدر عليه البشر، وأمية الرسول -صلى الله عليه وسلم- وجهله بقصص الأولين وأنبائهم، وأن القرآن بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعجز الخلق عنه[1]

وأمّا كبير أعلام المعتزلة القاضي عبد الجبار (ت 410ه) فرغم أنّه لم يفرد مؤلفا للبحث في إعجاز القرآن، فإنّه ألف كتاب "المغني في أبواب التوحيد والعدل"، وخصّ الجزء السادس عشر منه للإعجاز القرآني، وهو يقع في 348 صفحة، أشبع فيه مسألة الإعجاز بحثا حيث يقول: «اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وانما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولابد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع وليس لهذه الأقسام رابع فإذا صحت هذه الجملة، فالذي تظهر به المزية ليس إلا الإبدال (الاختبار) الذي تختص به الكلمات أو التقديم والتأخير الذي يختص به الموقع، أو الحركات التي تخص الإعراب، فبذلك تقع المباينة."[2]

ورغم كل هذه الجهود فإنّ العلماء لم يستطيعوا أن يبلوروا فكرة النظم كنظرية ِلغوية مستقلة، التي سيتولى أمرها عبد القاهر الجرجاني (ت471ه) الذّي استطاع أن رضع النظم في قوالب قواعدية وأسس نظرية، من خلال كتابه "دلائل الإعجاز في علم المعاني" الذي "عرض للإعجاز كأن لم يبحث من قبل، وبدأ القول فيه وأعاده كمن يرى الميدان خاليا ليس فيه سالك، بحيث احتاج الأمر إلى وضع كتابه الموسوم بـ "دلائل الإعجاز"[3] واستطاع أن يبلور فيه نظرية (علم المعاني) كما استطاع أن يبلور من خلال كتابه أسرار البلاغة (نظرية علم البيان)، وإلى هنا لم تكن البلاغة قد تسربلت بتلك التقسيمات التي نعرفها الآن من معاني وبيان وبديع؛ ذلك فالجرجاني لم يجعل لكل قسم منها دائرة خاصة به وإنما كانت ألفاظ البلاغة، والبراعة، والفصاحة، والبيان، والبديع، كلها بمعنى واحد[4] وقد "انتهى عبد القاهر من خلال عرضه لنظريته إلى أن ركز مناط الجودة في الكلام للصورة التي يرسمها النظم، بما يقوم عليه من معاني النحو

[1] - أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص47.

[2] - محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربية، علم المعاني، ص14.

[3] - عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية، ص23.

[4] - عباس فضل حسن، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، علم المعاني، ص73.

المتخيرة، والصورة التي تشكلت في نفس المتكلم بأصباغ العلاقات بين، معاني الكلام التي رتبت في النفس ترتيبا خاضعا لهذه العلاقات" [1]

لقد نضج الدرس البلاغي مع الجرجاني الذي من المؤكد أنّه قد استفاد من جهود سابقية، فقد كان الجاحظ أول واضع لهذا المصطلح النظم معللا به إعجاز القرآن، ثم تتابع الأمر مع الأشاعرة والمعتزلة رغم أنهم استعاضوا عنه بمصطلح الفصاحة ومهما يكن الأمر فإنّه يمكن أن نعد كتاب الدلائل من المؤلفات البلاغية القيمة، وهو خير ما كتب في باب النظم، لكن صلته بالإعجاز القرآني غير وثيقة ومباشرة؛ إذ نظر في أساليب البلاغة العربية وهي في تقديره الوسيلة إلى فهم القرآن الكريم المنزل بلسان عربي مبين؛ ومع ذلك لم يمض بعيدا في الاحتجاج لهذا الوجه من الإعجاز تدبرا في أسرار النظم القرآني المعجز فلقد قدم دراسة بلاغية لأسرار العربية، ولم يقدم دراسة قرآنية للإعجاز البلاغي[2].

لقد مضى الجرجاني بعد أن حدد وظيفة البلاغة وهي الاستدلال على إعجاز القرآن الكريم، ونقل بذلك القضية إلى مجال البحث البلاغي بمعزل عن القرآن نفسه، ومهد السبيل لمن جاء بعده؛ فأفردوا البلاغة بالدرس آملين أن تبقى الوسيلة لفهم المعجزة القرآنية وتفرقت دروب الباحثين بعده فمنهم من لزم غرزه، وسار على منهجه، فأتم ما بدأه كما فعل الزمخشري (ت538هـ)، إذ طبق ما قدمه عبد القاهر الجرجاني على كتاب الله، ولم يكتف بذلك التطبيق بل عمل على استكمال المباحث التابعة"[3]، ومنهم من رأى أن الدلائل تحتاج إلى ترتيب وتهذيب كالفخر الرازي (ت606هـ) الذي ألف كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"؛ ومنهم من اكتفى بما أوحي به الجرجاني من جعل المباحث البلاغية مطية لفهم الإعجاز والاستدلال عليه؛ فاستقل بالبحث البلاغي بعيدا عن الإعجاز وقضاياه، كما عزل البلاغة عن معاني النحو، على الرغم من أن الجرجاني قد أجهد فكره في التدليل على أنها داخلة في بلاغة النظم، وزعيم هذا الاتجاه هو السكاكي (ت626هـ) حين ألف كتابه مفتاح العلوم".

2.5 محطات الدرس البلاغي

أ) **البحث في دلائل الإعجاز القرآني:** نشأ الدرس البلاغي على خلفية سبب أساسي هو خدمة القرآن الكريم حيث انبرى علماء الأمة للدفاع عنه وحمايته من اللّحن والانحراف وبيان وجوه إعجازه، وتجلية جوانب الاختلاف بينه وبين ما تعود عليه اللّسان العربي الذي خلدته أشعارهم. وقد اتجه البلغاء والعلماء لتأليف المصنفات والكتب لتجلية أوجه البلاغة القرآنية قصد بيان وجوه إعجاز القرآن الكريم. وبهذه المؤلفات ظهرت دراسات كثيرة مختصة بالفنون البلاغية التي استخلصوها من القرآن الكريم مثل: الخبر والإنشاء والتقديم والتأخير، والذكر والحذف والشرط والجزاء، والفصل والوصل، والإيجاز

[1] - محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص64.

[2] - عمر بوقرة، إعجاز القرآن البياني وأثره في الدرس البلاغي، ص55.

[3] - رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ص34.

والإطناب، وغيرها من أساليب المعاني وفنون البيان وألوان البديع وهو ما يدل على العلاقة التّلازمية بين فنون البلاغة المختلفة وقضية الإعجاز القرآني.[1]

ب) **البحث البلاغي المتخصص:** لقد كان للقرآن الكريم أثره الواضح في البحث البلاغي المختص وذلك لأنّ ما ألف قديما وحديثا حوى جهود العلماء في استقصاء فنون البلاغة والتي كانت مستخلصة أغلبها من القرآن الكريم. بل إنّ القرآن كان مادة مُثلى للتدليل على الكثير من المباحث البلاغية والاستشهاد لها وبيان أغراضها ونكتها.

ت) **تفسير القرآن العظيم:** نشأت البلاغة وترعرعت في رحاب الدّراسات القرآنية كغيرها من علوم كثيرة نشأت من القرآن الكريم خادمة له، ومنافحة عنه. ولقد كان البحث عن المراد الإلهي في الآيات القرآنية دافعا لنشأة علم التفسير. ولما كان أول شيء يسعى له المفسر هو البحث عن دقائق المعاني التي تتضمنها آيات القرآن الكريم كانت فنون البلاغة ركيزة أساسية وأداة مهمة لاستكمال عملية الفهم والتفسير. ولهذا كان المفسرون يدركون جيدا الصلة الكبيرة بين علم التفسير وعلوم البلاغة. إذ لا يمكن أن يقوم بوظيفته إلّا عبر الإحاطة بفنون البلاغة ووجوهها المختلفة يقول الزمخشري: "ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلّا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمثل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة."[2] وقد ظهرت تفاسير اهتمت وعنت بالجانب البلاغي تحديدا كالتفسير الوسيط لأبي الحسن الواحدي (ت468ه) وتفسير الكشاف للزمخشري (ت538ه) وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي (ت542ه) وتفسير مفاتح الغيب للرازي (ت606ه) وتفسير أنوار التنزير وأسرار التأويل للبيضاوي (ت685ه) وتفسير التسهيل لابن جزي الكلبي الغرناطي (ت741ه). ومن أهم التفاسير التي اعتنت بالجانب البلاغي هو تفسير البحر المحيط لابي حيان الأندلسي (ت745ه)، وتفسير كتاب الله المجيد لابي العباس البسيلي التونسي (ت830ه) وتفسير أبي السعود (ت982ه) وتفسير فتح القدير للشوكاني (ت 1250ه) والتحرير والتنوير لابن عاشور (ت 1393ه).

6. الخاتمة:

كان ولا يزال القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، المتحدية للعقل البشري في كل العصور، وقد كان للقرآن الكريم الفضل الكبير في انتشال اللّغة العربية من الاندثار والتشتت فجعلها لسان الرسالة الخاتمة فحفظت بحفظ القرآن الكريم وكسب شرفا وعزة من قداسة القرآن ورسالته وعرفت تمددا وانتشارا بانتشار رسالة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها. وقد علت مكانتها مع الإعجاز اللغوي والبلاغي الذي جاء به القرآن حيث فجر القرآن الكريم أسرار هذه اللّغة ومكامن قوتها وبلاغتها.

[1] علي أحمد زواري، أثر القرآن الكريم في نشأة الدرس البلاغي وتطوره، ص15.

[2] - الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل، ص2.

وقد استطعنا من خلال هذه الورقة البحثية تلك الصلة الوثيقة والعلاقة الجدلية بين القرآن الكريم وعلم البلاغة ذات الاتجاهين:

- اتجاه تأثير الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم في نشأة الدرس البلاغي في التاريخ العربي.
- واتجاه ثاني يكشف دور الدّراسات البلاغية في فهم انص القرآني وأثرها في نشأة التفاسير البلاغية للقرآن الكريم.

إلّا أن التحولات الحضارية المعاصرة تطرح اليوم أمام اللّغة العربية جملة من التّحديات كالثنائية اللغوية وسطوة اللّغة الإنجليزية على لغات العالم بعد أن أصبحت لغة العصر والعولمة وعمق الغزو الثقافي الغربي والتراجع الحضاري العربي الإسلامي من هذا التّحدي في ظل ثورة معلوماتية. وهو ما يجعلنا نوصي بما يلي:

1. دعوة الحكومات الرسمية والمؤسسات الأكاديمية بضرورة بناء استراتيجية واضحة ومتكاملة للنهوض بواقع اللّغة العربية تقوم على تبني كامل للتعريب ومقاومة كل مظاهر الاستلاب اللغوي والتصدي لحملات التغريب والفرنكوفونية.

2. إبراز مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم وخاصة الإعجاز اللغوي/ البلاغي الذي يعطي فخرا وعزة لكل ناطق بلغة الضاد.

- تعميق البحث في مجال الدّراسات البلاغية واللغوية عبر دمج اللّغة العربية في الأنظمة المعلوماتية مما سيجعلنا نكتشف آفاقا جديدة لأوجه أخرى من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم بعد الاستعانة بالطاقات والإمكانات المحاسباتية التي توفرها الأنظمة المعلوماتية (الإعجاز العلمي والرقمي في القرآن الكريم).

7. قائمة المراجع

1.المؤلفات:

- الأفغاني سعيد (1973)، **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، دمشق.
- الباقلاني أبو بكر. (1973). **إعجاز القرآن**، بيروت، المكتبة الثقافية.
- الباقوري حسن. (1987). **أثر القرآن في اللغة العربية**، القاهرة، دار المعارف.
- بدوي بطانة. (1958). **البيان العربي**، مطبعة الرسالة، ط2، مصر.
- بروكلمان كارل. (1977). **تاريخ الأدب العربي**، دار المعارف، القاهرة.
- بكر إسماعيل محمد، (1999). **دراسات في علوم القرآن**، دار المنار، ط2.
- بلعيد صالح. (2002). **نظرية النظم**، الجزائر، دار هومة، الطبعة الأولى.
- السيد راضي جبريل محمد، (1421). **عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم**، المدينة المنورة، مجمع الملك الفهد لطباعة المصحف الشريف.
- جميل علي. (د.ت)، **أثر القرآن على اللغة العربية**.

- الخالدي. صلاح عبد الفتاح (د.ت). **البيان في إعجاز القرآن**. دار عمار، عمان الأردن.
- الرماني والخطابي والجرجاني(د.ت). **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والنقد**، المحقق محمد خلف الله.
- الرافعي مصطفى الصادق (1974). **تاريخ آداب العرب**، بيروت ط2، دار الكتاب العربي.
- الرافعي مصطفى الصادق (1998). **إعجاز القرآن**، بيروت، دار الكتاب العربي.
- عيد رجاء (د.ت). **فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور**، الإسكندرية، منشأة المعارف.
- الزرقاني محمد عبد العظيم (د.ت). **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، ط3.
- زغلول سلام محمد (د.ت). **أثر القرآن في تطور النقد العربي**، مكتبة الشباب.
- الزمخشري (1407). **الكشاف عن حقائق التنزيل**، بيروت ط3، دار الكتاب العربي.
- السيوطي جلال الدين (1974). **الإتقان في علوم القرآن**، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- السيوطي جلال الدين (ط. مصر). **المزهر في علوم اللغة العربية**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
- بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن، (2004). **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، دراسة قرآنية لغوية وبيانية.
- صمود حمادي (1981). **التفكير البلاغي عند العرب**، تونس، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية.
- ابن عاشور محمد الطاهر (1984). **التحرير والتنوير**. تونس، الدار التونسية للنشر.
- عرفة عبد العاطي عبد العزيز (1984). **من بلاغة النظم القرآني دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، بيروت. عالم الكتاب، الطبعة الثانية.
- حسن عباس فضل (1997). **البلاغة العربية فنونها و أفنانها**، علم المعاني، دار الفرقان للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة.
- العمري محمد (1999). **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**، المغرب. أفريقيا الشرق.
- الفراهي الهندي عبد الحميد (1991). **دلائل النظام**، ط2، الدائرة الحميدية الهندية.
- فرايجي علي (2010). **محاضرات وتطبيقات في علم البيان**، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر.
- أحمد بن محمدالفيومي (2009). **المصباح المنير**. بيروت، مكتبة لبنان.
- مبارك مازن (2014). **الموجز في تاريخ البلاغة**، بيروت. دار الفكر المعاصر.
- ابن المثنى أبو عبيدة معمر(د.ت). **مجاز القرآن**، تحقيق محمد فؤاد سزكين، القاهرة، مكتبة الخانجي.
- عبد المطلب محمد (1994). **البلاغة والأسلوبية**، لبنان مكتبة ناشرون، الشركة المصرية للنشر لونجمان، ط1.
- ابن منظور جمال (2005). **لسان العرب**، بيروت، دار صادر.
- نحلة محمود أحمد (1990). **في البلاغة العربية**، علم المعاني، بيروت، لبنان دار العلوم العربية، ط1.
- ياسوف أحمد (1999). **جماليات المفردة القرآنية**، دمشق، دار المكتبي، ط2.

2.المقالات:

- بوقرة عمر (2017). إعجاز القرآن البياني وأثره في الدرس البلاغي، **مجلة تاريخ العلوم**، العدد 10، ديسمبر 2017، الجزائر.

- حماس كريمة أوشيش. (2009). الفصاحة واللحن في اللغة العربية، **مجلة اللسانيات**، المجلد 14، العدد 02، ديسمبر 2009، الجزائر.
- زواري علي أحمد (2018). أثر القرآن الكريم في نشأة الدرس البلاغي وتطوره، **مجلة المنهل**، مج04، عدد01 (جانفي 2018)، جامعة الوادي، الجزائر.
- السائح محمد (1959). إعجاز القرآن، **مجلة دعوة الحق**، ع، 7، أبريل 1959.

3.مواقع الانترنيت:

- الوافي إبراهيم، أثر القرآن الكريم في الدراسات البلاغية، موقع الرابطة المحمدية للعلماء

(2022/12/22) - *https://www.arrabita.ma/blog*

Bibliography List

1. Books:

- Author's name (year), **full title**, publishing, country.
- Al-Afghani Saeed (1973), Arab Markets in Pre-Islamic Time and Islam, Damascus.
- Al-Baqalani Abu Bakr. (1973). The Miracle of the Qur'an, Cultural Library Beirut.
- Al-Baqouri Hassan. (1987). the Impact of the Qur'an on the Arabic Language, Dar Al-Maaref, Cairo.
- Bedoui Bitana. (1958). Arabic statement' (Al-Bayan Al-Arabi), Al-Resala Press, 2nd edition, Egypt.
- Brockelmann, Carl. (1977). History of Arabic Literature, Dar Al-Maaref, Cairo.
- Bakr Ismail Muhammad, (1999 Studies in the Sciences of the Qur'an, Dar Al-Manar, 2nd edition.
- Belaid Saleh. (2002). Systems Theory, Dar Houma, first edition, Algeria.
- Said Radi Jibril Muhammad (1421), Muslims' Care to Highlight the Miraculous Faces of the Holy Qur'an, King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an, Medina.
- Jameel Ali. (W.D), The impact of the Qur'an on the Arabic language.
- Al-Khalidi. Salah Abdel Fattah (W.D), the statement in the miracle of the Qur'an. Dar Ammar, Amman, Jordan.
- Al-Rummani, Al-Khattabi, and Al-Jurjani, Three Treatises on the Miracle of the Qur'an in Quranic Studies and Criticism, by Muhammad Khalaf Allah.
- Al-Rafi'i Mustafa Al-Sadiq (1974), History of Arab Literature, 2nd edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut.
- Al-Rafi'i Mustafa Al-Sadiq (1998) The Miracle of the Qur'an, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi.
- Eid Rajaa (W.D.), The Philosophy of Rhetoric between Technology and Development, Al-

Ma'arif Establishment, Alexandria.

- Al-Zarqawi Muhammad Abd al-Azim (W.D.), Manahil al-Irfan fi Ulum al-Qur'an, Issa al-Halabi and Partners Press, 3rd edition.
- Zaghloul Salam Muhammad (W.D.), The Impact of the Qur'an on the Development of Arab Criticism, Al-Shabab Library.
- Al-Zamakhshari (1407) Al-Kashshaf fi Haqiqat al-Tanzil, 3rd edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi. Beirut.
- Al-Suyuti Jalal al-Din (1974). Perfection in the Sciences of the Qur'an, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Egyptian General Book Authority, Egypt.
- Al-Suyuti Jalal al-Din (ed. Egypt) Al-Mizhar fi Sciences of the Arabic Language, edited by Muhammad Abu al-Fadl.
- Bint Al-Shati, Aisha Abdel Rahman, (2004). The graphic miracle of the Qur'an and the issues of Ibn al-Azraq, a linguistic and graphic Qur'anic study.
- Samoud Hammadi (1981). Rhetorical thinking among the Arabs, Tunisian University Publications, Official Printing Press, Tunisia.
- Ibn Ashour Muhammad Al-Taher (1984). Liberation and enlightenment (Attahrir wa tanwir) Tunisian Publishing House, Tunisia.
- Arafa Abdel Ati Abdel Aziz (1984). From the rhetoric of Qur'anic systems, an analytical study of issues of semantics, Beirut. World of the Book, second edition.
- Hassan Abbas Fadl (1997), Arabic rhetoric, its arts and crafts, Science of Meanings, Dar Al-Furqan for Printing and Publishing, fourth edition.
- Al-Omari Muhammad (1999), Arabic Rhetoric, Its Origins and Extensions, East Africa, Morocco.
- Al-Farahi Al-Hindi Abdel Hamid (1991). Evidence of the System, 2nd edition, Al-Hamidiyya Hindi circle.
- Faraji Ali. (2010). Lectures and applications in the science of rhetoric, Dar Houma for Printing and Publishing, Algeria.
- Ahmed bin Muhammad Al-Fayoumi. (2009). The enlightening lamp. Lebanon Library. Beirut.
- Mubarak Mazen. (2014). Summary of the History of Rhetoric. House of Contemporary Thought, Beirut.
- Ibn Al-Muthanna Abu Ubaida Muammar, (W.D.), Metaphor of the Qur'an, edited by Muhammad Fouad Sezgin, Al-Khanji Library, Cairo.

- Abdul Muttalib Muhammad (1994). Rhetoric and Stylistics, Lebanon Publishers Library, Egyptian Longman Publishing Company, 1st edition.
- Ibn Manzur Jamal (2005). Arabic language (Lisan al-Arab) , Dar Sader, Beirut.
- Nahla Mahmoud Ahmed (1990). In Arabic Rhetoric, Science of Meanings, Lebanon, Dar Al-Ulum Al-Arabiyya, 1st edition, Beirut.
- Yasuf Ahmed (1999). Aesthetics of the Qur'anic Singularity, Dar Al-Maktabi, 2nd edition, Damascus.

2. Journal article:

- Author's name (year), full title of the article, **review** name, place, volume and number.
- Boughara Omar (2017), The Miracle of the Qur'an in Graphics and Its Impact on the Rhetorical Lesson, Journal of the History of Science, Issue 10, December 2017, Algeria.
- Hamas Karima Oushish. (2009), Eloquence and Melody in the Arabic Language, Journal of Linguistics, Volume 14, Issue 02, December 2009, Algeria.
- Zwari Ali Ahmed (2018). The Impact of the Holy Qur'an on the Origins and Development of the Rhetorical Lesson, Al-Manhal Magazine, Volume 04, Issue 01 (January 2018), University of the Valley, Algeria.
- Tourist Muhammad (1959). The Miracle of the Qur'an, Da'wat al-Haq magazine, No. 7, April 1959.

3.Internet websites:

- Al-Wafi Ibrahim, The Impact of the Holy Qur'an on Rhetorical Studies, website of the Muhammadiyah Association of Scholars, https://www.arrabita.ma/blog - (12/22/2022).